الفصل الأول

انتشار الإسلام في دولة الكانم والبرنو

أ. الحياة الدينية في الكانم والبرنو قبل وصول الإسلام

ب. وصول الإسلام إلى الكانم والمغرب .

ج. وسائل انتشار الإسلام في الكانم والبرنو .

د. عوامل انتشار الإسلام في الكانم والبرنو .

هـ. إسلام الأسرة الحاكمة ودورها في نشر الإسلام .

و. أثر الإسلام على مظاهر الحياة في الكانم والبرنو .

أ ــ الحياة الدينية في الكانم والبرنو قبل وصول الإسلام

إن انتشار الإسلام في بلاد الكانم موضوع من الأهمية بحيث رأينا أن نخصص هذا الفصل لتناوله ، وتأتى هذه الأهمية بحكم ارتباط الموضوع بفكرة البحث الرئيسة وهي العلاقات بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو ، فالإسلام كان من أقوى الروابط التي وطدت العلاقات بين الطرفين ، فإذا كانت الروابط السياسية والاقتصادية ترتبط عادة بمصالح معينة ، وقد تتعرض لنكسات تبعاً للظروف التي تمر بها المنطقة فإن العامل الديني أفرز نوعاً جديداً من العلاقات لا تتأثر بالظروف السياسية ، ومن جهة أخرى تتمثل أهمية الموضوع في تأثيره الإيجابي على بقية العلاقات بما أسهم في توطيد هذه العلاقات ، أو بمعنى آخر فإن انتشار الإسلام في تلك البلاد قد دفع حكامها إلى إقامة علاقات سياسية واقتصادية متميزة مع بلاد المغرب .

لابد لكي نعرف تأثير الإسلام على حياة المجتمع في الكانم والبرنو أن نحاول التعرف على الحياة الدينية في البلاد قبل وصول الإسلام لإدراك مدى التغيير الذي طرأ على مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تلك البلاد بانتشار الإسلام .

إن أغلب المعلومات التي وردت إلينا عن الأحوال العامة في بلاد الكانم والبرنو قبل دخول الإسلام هي معلومات غير دقيقة [1] ويغلب عليها الطابع الأسطوري حتى في أسماء الملوك وأعمالهم [2]، ولكننا سنحاول من خلال تحليل بعض الاشارات الواردة في المصادر القديمة أن نتعرف على الحياة الدينية في بلاد الكانم قبل وصول الإسلام .

ان أول ما نلاحظه على الحياة الدينية تنوع مظاهر العبادة تبعاً لحالة التشتت القبلى التي عاشتها المنطقة قبل الإسلام ، فالبكرى يصف الزغاوة بأنهم سودان مشركون ، ويفصل الأمر بقوله " أنهم كانوا في ماضيهم عبدة أوثان تسمى

---

[1] ديوان الكانم والبرنو ــ ص132 .

[2] المصدر نفسه ــ ص 132 .

الدكاكير " [1] كما يذكر الدمشقي أنهم كانوا يدفنون مع الميت أعز ممتلكاته من الحلي والألبسة والأواني والأسلحة [2]، بما يوحي بايمانهم بعقيدة البعث بعد الموت، ربما تسربت هذه العقيدة من شمال وأدى النيل حيث كانت معروفة عند المصريين القدماء إلى حوض النيل الجنوبى ثم انتقلت إلى منطقة بحيرة تشاد بواسطة الهجرات التي استقرت في المنطقة، كما كان من مظاهر الحياة الدينية عند الزغاوة عبادة الملوك حيث ذكر الحموى "أن ديانتهم عبادة ملوكهم ، يعتقدون أنهم الذين يحيون ويميتون ويمرضون ويصحون "[3]، ويبدو أن الملوك قد حرصوا على غرس هذه العقيدة في نفوس أتباعهم وذلك بخلق هاله من القداسة والغموض حول أنفسهم حيث ذكر الحموى أن طعامهم كان يدخل إلى بيوتهم سراً ولا يعلم أتباعهم مصدره ، فإذا أتفق لأحد من الرعية أن يلقى الأبل التي تحمل طعام الملك فانه يقتل في نفس الوقت [4] وقد استغل الملوك هذه العقيدة في تثبيت ملكهم وزيادة نفوذهم حيث كانت يد الملك مطلقة في رعاياه ويسترق منهم من يشاء[5].

أما قبائل الصو فيبدو من خلال الرسومات التي تركوها انهم عبدوا بعض الحيوانات كالثور والحصان والكبش [6] ، كما يبدو أن لبعض القبائل أماكن مقدسة تلجأ إليها عند الحاجة ، ففي حالات الجفاف كانوا يذهبون إلى هذه الأماكن يقدمون اللحم والدهن ثم يتضرعون لإنقاذهم من الجفاف [7] ، كذلك مما يدل على وجود أوثان مقدسة ما ورد من أن الماى دونمه بن عبدالجليل "618– 656 هـ/1221–

---

[1] –الدكاكير : مفردها د كوروهو أسم فى لغتهم يطلقونه على الأصنام التى يعبدونها ــ البكر ي– المصدر السابق ــ ص172 ، أنظر أيضاً الدمشقي ،المصدر السابق ، ص 268 .

[2]– الدمشقي – المصدر السابق – ص268

[3] –الحموي – المصدر السابق ج 3 – ص142

[4]– المصدر نفسه –ج 3 – ص 142

[5] –المصدر نفسه – ج 3 – ص 142

[6]- فضل كلود – المرجع السابق – ص54

[7]- الشاطر البوصيلي – المرجع السابق – ص34

1258م " قد حطم الوثن المعروف بأسم ميون [1] ، وكانت عبادته لاتزال قائمة في عهده في بعض أجزاء كانم وتيبستى .

لقد أدى هذا التشتت الديني الناتج عن غياب الدين السماوي الذي ينظم حياة الأفراد والجماعات إلى حالة من الفوضى ، حيث يذكر الوزان أن قبائل الزغاوة دأبت على الأغارة وقطع الطريق على المسافرين والتجار والاستيلاء على ممتلكاتهم [2] .

كذلك سادت المجتمع الكانمى قبل وصول الإسلام بعض العادات السيئة كشرب الخمر وتقديم القرابين للآلهة ، بالإضافة إلى الأعمال المخلة بالأمن كالسرقة و قطع الطريق , ولاشك ان هده البيئة الفاسدة كانت من عوامل انتشار الإسلام في المنطقة .

ب – وصول الإسلام إلى الكانم والبرنو

لقد كان وصول الإسلام إلى الكانم والبرنو أمرا متوقعا بعد فتح شمال أفريقيا بحكم العلاقات التجارية التي تربط منطقة شمال أفريقيا بالسودان الأوسط ، وبحكم الهجرات التي تتحرك من مناطق الصحراء نحو بحيرة تشاد فمن الطبيعي أن يتسرب هذا الدين الجديد مع القوافل التجارية والهجرات القبلية إلى بلاد الكانم والبرنو .

أما طريقة وصول الإسلام إلى المنطقة فقد تعددت فيها الروايات حيث جاء في مخطوطة عربية عثر عليها الفرنسى " دوميزيير " في مدينة تمبكتو أن اربعة من جنود جيش عمر بن عبدالعزيز " 99 – 101 هـ – 717 – 719 م " جاءوا من

---

[1] –ميون : مخلاة صغيرة خيطت بخيوط كثيرة متنوعة لتكسبها جمالا ورهبة ، ولم يفكر المايات السابقون لدونمة في فتح هذه المخلاة خوفا من العواقب بسبب ما أشيع حول هدا الوثن من أساطير ولكن دونمة دباليمي فتح هذه المخلاة ولم يجد فيها شيئا فأمر بوضعها بحيث يراها الناس ليتأكدوا أن ما أشيع حول هدا الوثن لا يعدو أن يكون خرافات " انظر : ابراهيم صالح – المرجع السابق ص69

[2] –الوزان – المصدر السابق – ص293

اليمن إلى منطقة بحيرة تشاد فنشروا الإسلام وقتلوا حكام كانم والبرنو ، ونصب أحدهم ويسمى أدريس نفسه ملكاً عليها[1].

إن هذه الوثيقة لم تذكر لنا سبباً مقنعاً يجعل هؤلاء الجنود الأربعة يغادرون اليمن ويتجهون إلى منطقة بحيرة تشاد وإن كان من المتوقع أن ينتقل الأفراد من مكان إلى آخر لأسباب قد تكون مجهولة ، ولكن مايجعلنا نشك في صحة المعلومات الواردة في هذه الوثيقة ماورد فيها من أن هؤلاء الأربعة قد قتلوا حكام الكانم والبرنو ونصبوا أحدهم ملكاً على البلاد ومصدر شكنا من ناحيتين : ــ

1 – أن دولة الكانم والبرنو لم تكن موجودة في تلك الفترة حسب أرجح الآراء فكما رأينا في حديثنا عن تأسيس الدولة أنها ظهرت فيما بين" الثاني والثالث الهجري" أواخر القرن الثامن وبداية التاسع الميلادي [2]، بينما عاش عمر بن عبد العزيز في بداية القرن الثاني الهجري والقرن الثامن الميلادي [3]وكانت منطقة بحيرة تشاد في تلك الفترة تتقاسمها التجمعات القبلية ولم تخضع لسلطة مركزية .

2 – أن وصول الجنود كدعاة استقروا في المنطقة ونشروا الإسلام هناك بصورة سليمة أمر يمكن تصديقه ، قد يكون هؤلاء الأربعة مبعوثين من قبل الدولة لغرض نشر الإسلام في المنطقة [4] ، ولكن الأمر الذي يدعو إلى الشك ما ذكرته الوثيقة من أن هؤلاء الأربعة قتلوا حكام الكانم والبرنو ونصبوا أحدهم ملكاً على المنطقة فمن المستحيل أن يتمكن هذا العدد البسيط من قتل حكام أى مملكة وتنصيب أحدهم ملكاً بهذه الصورة التي ذكرتها الوثيقة ، فضلاً عن عدم ذكر هذا الملك سواء في الروايات المحلية أو في المصادر العربية القديمة .

---

[1]-Palmer - The Bornu sahara - p6

[2] - Samuel Decalo – historical dictionary of Chad –p 9 .

[3]– المسعودي – المصدر السابق – ج 3 – ص 182

[4] -قد بنينا هذا الإفتراض على إهتمام عمر بن عبدالعزيز بنشر الإسلام وإرسال الدعاة إلى المناطق البعيدة ، ومنها إرساله لعشرة من الدعاة الي جنوب بلاد المغرب لنشر الاسلام { أنظر ابو محمد بن عدارى – البيان المغرب فى أخبار الاندلس و المغرب –تحقيق: احسان عباس– بيروت –الدار العربية للكتاب – 1983–ج 1 –ص 83 – انظر أيضاً– السيد عبدالعزيز سالم – المغرب الكبير – القاهرة – الدار القومية للطباعة والنشر – 1966م– ج2 – ص290 }

أما البكرى فيذهب إلى أن هناك قوم من بنى أمية صاروا إليهم عند محنتهم بالعباسيين [1]، ويبدو أن البكرى غير مقتنع بهذه الرواية إذ يبدأ عبارته بقوله :{ هم سودان مشركون } [2]، ثم يؤكد شكه بقوله{ ويزعمون } فالبكرى هنا يعتمد على الروايات المحلية ولا يبدو من خلال صياغته للرواية أنه يصدقها .

إن الروايات المتعلقة بوصول الإسلام إلى بلاد الكانم تتعدد بتعدد الشخصيات التي يعتقد أنها أسهمت في مهمة نشر الإسلام في المنطقة ، فالعمرى يقول : "ان اول من بث الإسلام فيها الهادي العثماني ، ادعي انه من ولد عثمان رضي الله عنه ، وصارت بعده لليزينيين من بني يزن " [3] وما نفهمه من رواية العمري ان هذا الداعية قد جاء قبل ظهور الاسرة السيفية من خلال عبارة:{وصارت بعده لليزينيين من بني يزن}[4]، ولاندري هل كان لهذا الرجل دور سياسي ام أن دوره اقتصر على الدعوة الإسلامية فرواية العمري توحي بانتقال الحكم من هذا الرجل إلى الأسرة السيفية ، ولكن المرجح أن هذا الرجل اذا صح وجوده كان مجرد داعية إسلامي حيث لم يرد في المصادر أي دور سياسي له .

كذلك هناك رواية محلية متداولة عند الهوسا تذكر أن شخصا يدعى ابي يزيد الفزاري كان يدعو للإسلام في كانم وبرنو في نهاية القرن السابع ومطلع الثامن [5] ، ولم تذكر لنا الرواية أي تفاصيل عن أصل هذا الرجل وجهة قدومه ، وإن

---

[1] –البكري – المصدر السابق – ص11

[2] -المصدر نفسه – ص11

[3]- العمري – المصدر السابق –ج2– ص97

[4]- المصدر نفسه –ص491

[5] - طرخان –المرجع السابق – ص66

كان واضحا من خلال الاسم أنه ينتمي الى قبيلة عربيـــة معروفـــة هـــي قبيلـــة فزارة[1].

إن أبرز ما تتفق عليه هذه الروايات هو أن الإسلام قد دخل المنطقة بـــصورة سلمية حيث انتشر انتشارا هادئا دون اللجوء إلي العنف عبر الطرق التجارية التي كانت تربط منطقة بحيرة تشاد بشمال أفريقيا ، وهذه الطريقة السلمية تختلف عـــن الفتح العسكري في أن الأخير يمكن تحديده بزمان ومكان معينين ، وتبـــرز فيـــه أسماء القادة الذين قادوا العمليات العسكرية ، أما الطريقة الـــسلمية فـــلا نـــستطيع حصرها في زمان معين أو مكان معين ، كما أن الكثير من رجالها يبقى مغمـــورا لا تتطرق إليه المصادر التاريخية ، فهي عبارة عن جهود فردية أو جماعيـــة قـــد تستغرق فترة طويلة لأنها تعتمد على المخالطة والإقناع التدريجى ، ومـــن هـــذا المنطلق قد تكون الروايات التي ذكرناها لها أساس صحيح ، وقد يكـــون بعـــضها وصلنا مختلطاً بالأساطير ، ولا يستبعد وجود الكثير من الـــدعاة والتجـــار الـــذين أسهموا في نشر الإسلام في المنطقة ، ولم يرد ذكرهم في هذه الروايات ، فـــنحن أمام ظاهرة تاريخية شارك في صنعها عشرات من الرجال واستغرقت زمناً طويلاً حتى أصبح الإسلام هو دين الغالبية في هذه المنطقة.

أما تاريخ انتشار الإسلام في المنطقة فلا نستطيع تحديد تاريخ دقيق له بحكم أن الإسلام انتشر بشكل تدريجي ، ولكن المرجح من خلال الروايات التي تناولت هذا الموضوع أن انتشار الإسلام كان خلال القرن الثاني الهجري /الثـــامن المـــيلادي حيث انحصرت أغلب الروايات في هذه الفترة ، فإذا صحت رواية المهاجرين من بنى أمية [2] بعد سقوط دولتهم ، فإن هذه الهجرة يكون تاريخها خلال القرن الثاني

---

[1] -لقد نزحت بطون من قبيلة فزارة من شبه الجزيرة العربية واستقروا في صعيد مصر ثم امعنـــوا نحو الجنوب حتي اقتربوا من حدود النوبه "أنظرأحمد ابن أبي يعقوب اليعقوبي–البلدان– بيـــروت – دار صادر –(د.ت) ص 333– انظرأيضاً : حسن احمـــد محمـــود المرجـــع الـــسابق – ص 89 " طرخان – المرجع السابق – ص32

[2] –البكرى – المصدر السابق – ص 11 .

الهجري (الثامن الميلادي) [1] ، وكذلك نفهم من رواية العمرى عن الهادى العثماني [2] أنه كان موجوداً بالمنطقة خلال هذه الفترة حيث جاء في هذه الرواية " وصارت بعده لليزنيين " [3] ومعروف أن الأسرة السيفية قد بدأ حكمها للبلاد في (الثاني الهجرى) أواخر القرن الثامن الميلادي على أرجح الآراء ، كما أن الرواية المتعلقة بأبى يزيد الفزارى ذكرت أنه بدأ دعوته مع مطلع القرن الثاني الهجري [4] الثامن الميلادي ، وينطبق هذا أيضاً على الجنود الذين وصلوا إلى المنطقة في عهد عمر بن عبدالعزيز الذي حكم في بداية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، لذلك نرجح هذه الفترة كبداية لتغلغل الإسلام في منطقة بحيرة تشاد .

بقى عامل مهم أدى إلى انتشار الإسلام في هذه المنطقة ، ولهذا العامل علاقة بعمليات الفتح العسكري لشمال أفريقيا ، ويتمثل هذا العامل في وصول الجيش الإسلامي إلى منطقة متاخمة لمنطقة بحيرة تشاد من الشمال وهي منطقة كاوار حيث تذكر المصادر أن أهل مدينة ودان نقضوا عهدهم الذي عاهدوا عليه بسربن ابى أرطأة [5] سنة(23هـ/643م) فخرج عقبة على رأس فرقة من جيشه إلى ودان [6] فحاصرها واستولى عليها ثم توغل في الجنوب فاستولى على " جرمه "

---

[1]- لقد أستندنا فى هذا الترجيح على أن الدولة الأموية سقطت فى الثلث الأول من القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) (132 هـ – 749 م) حيث فر بعض بنى أمية إلى شمال أفريقيا وكان أبرزهم عبدالرحمن بن معاوية الذى نجح فى تأسيس دولة فى الأندلس ، أنظر محمد ابن القاسم ابن ابي دينار –المؤنس في اخبار افريقيا وتونس –بيروت–دار المسيرة–1993–ص 57 .

[2] –العمرى – المصدر السابق – ج2 –ص97

[3] –المصدر نفسه – ص 97

[4] –طرخان – المرجع السابق – ص 66 .

[5]– بسر بن أبى أرطأة : ولد سنة 2 هـ ، ودخل مصر مع جيش عمرو بن العاص ، كما أشترك فى فتح برقة ومصر ، وفتح ودان سنة 23 هـ وواصل جهاده فى المغرب ثم رجع وأشترك مع معاوية فى معركة صفين ، وتوفى سنة 86 هـ " أنظر البكري –المصدر السابق–ص12 ،انظر ايضا خير الدين الزركلى ــ الأعلام – بيروت – دار العلم للملايين " 1984 م جـ 2 – ص 51 .

[6]- ودان : بينها وبين زويلة عشرة أيام ، ولها قلعة حصينة ، وفتحها بسر بن أبى أرطأة سنة 23 هـ (أنظر : الحموى – المصدر السابق – جـ 5 – ص 366).

ثم سأل أهل فزان ، هل من ورائكم أحد ؟ فقالوا أهل خاور فسار إليها خمس عشرة ليلة فلما وصلها دعا أهلها للإسلام فأبوا وطلب منهم الجزية فامتنعوا بحصونهم ، وأقام على حصارهم شهراً دون جدوى ، ثم تقدم بجيشه جنوباً ففتح بقية بلاد كاوار حتى أتى على آخرها ثم عاد ، وربما يرجع سبب عدم دخول جيش عقبة إلى منطقة بحيرة تشاد، أن قواته كانت قليلة العدد فاعتمد على الغارات الخاطفة الملائمة لحرب الصحراء ، ولم يكن مستعداً لعملية الفتح المنظم الذي قد يستغرق فترة طويلة وفي طريق عودته فاجأ عقبة أهل خاور واستولى على مدينتهم[1].

وتذكر بعض المصادر القديمة أن هذه الحملة قد وقعت سنة 46 / 666م[2] واستغرقت خمسة شهور ، وقد صحح مؤرخ معاصر[3] هذا الخطأ وذكر أن الحملة كانت سنة 49 هـ على اعتبار أن عقبة سار بعد هذه الحملة إلى الشمال حيث بنى مدينة القيروان سنة 50 هـ / 670 م ، فلا يعقل أن تستغرق هذه الحملة خمسة شهور بينما تستغرق عودة عقبة للشمال ثلاث سنوات .

إن مايمكن استنتاجه من أخبار هذه الحملة هو أن عقبة قد توغل بجيشه حتى وصل الحدود الشمالية لمنطقة كانم ، وتدلنا على هذا التوغل عبارة وردت في المصادر وهي أن عقبة (افتتح كوراً من بلاد السودان) [4] ، كذلك مما يؤكد هذا التوغل عبارة وردت في المصادر من أن عقبة تقدم بجيشه جنوباً لفتح بقية بلاد

---

[1]- عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم –فتوح افريقيا والاندلس–تحقيق:عبدالله انيس الطباع – بيروت–دار الكتاب اللبناني –1964–ص 52، انظر أيضاً : حسين مؤنس – فتح العرب للمغرب – القاهرة – مكتبة الثقافة الدينية – (د .ت) . ص 136

[2]-عبد الرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم – فتوح مصر وأخبارها – القاهرة – مكتبة مدبولي– 1999– ص 194 .

[3] –حسين مؤنس – المرجع السابق – ص 137 .

[4] –الحافظ الذهبى – العبر في خبر من غبر تحقيق : محمد السعيد – بيروت – دار الكتب العلمية – 1985 – جـ 1 –ص 37 .

كاوار ففتحها حتى أتى على أخرها [1] ، وحيث إن بلاد كاوار تتاخم بلاد الكانم من الشمال فيمكن اعتبار أن آخر هذه البلاد متصل بأول بلاد الكانم من جهة الشمال .

إن وصول الإسلام على يد عقبة إلى إقليم كاوار الذي يرتبط بمنطقة بحيرة تشاد بروابط تجارية وثيقة واستمرار حركة هجرة القبائل من الشمال إلى الجنوب يجعلنا نؤكد باطمئنان أن لهذه الحملة علاقة وثيقة ببداية انتشار الإسلام في منطقة بحيرة تشاد بشكل سلمى نتيجة للعلاقات التجارية التي تربط بين المنطقتين على اعتبار أن حملة عقبة سلكت الطريق القديم الذي كان يصل كانم بساحل طرابلس لذلك يبدو أن التأثيرات الإسلامية في كانم تسربت إليها من هذا الطريق [2] ، كذلك مما يؤكد دور هذه الحملة في نشر الإسلام في مناطق جنوب الصحراء أن الحموي عند حديثه عن بناء مدينة القيروان قال " (وسار إلى أفريقيا ونازل أهلها وأسلم على يديه خلق كثير من البربر وفشا فيهم دين الله حتى أتصل ببلاد السودان ، فجمع عقبة حينئذ أصحابه وقال " إني رأيت أن أبني هاهنا مدينة يسكنها المسلمون، فأستصوبوا رآيه وبنى القيروان [3].

ويمكن من خلال رواية الحموى عن بناء مدينة القيروان أن نستنتج مايلى: -

1 – تاكيد ماذكرناه من أن حملة عقبة على جنوب فزان كان لها دور في نشر الإسلام في المناطق الواقعة جنوب الصحراء ويتضح هذا من قول الحموى " وفشا فيهم دين الله حتى أتصل ببلاد السودان " [4]

2 – وجود علاقة بين انتشار الإسلام في جنوب الصحراء وبناء مدينة القيروان فالحموي بعد أن ذكر وصول الإسلام إلى بلاد السودان قال "فجمع عقبة حينئذ

---

[1] - الذهبى– المصدر السابق – جـ 1 – ص 37 .

[2] -أمين الطيبى – كانم برنو بالسودان الأوسط فى العصر الوسيط – مجلة المؤرخ العربى– بغداد ع 37 – 1988 – ص 121 .

[3] -الحموى – المصدر السابق – جـ 4 – ص 420 .

[4]- المصدر نفسه – جـ 4 ـ ص 420 .

أصحابه" [1] وبمعنى أن التفكير في بناء القيروان جاء نتيجة لانتشار الإسلام في المنطقة أي أنه جعل انتشار الإسلام ببلاد السودان أحد مبررات إنشاء القيروان في منتصف القرن الأول للهجرة /السابع الميلادي ، ويؤكد هذا ماذكرناه من أن عقبة شرع في بناء القيروان بعد رجوعه من الحملة مباشرة[2] إذاً من الممكن القول إن الإسلام قد بدأ يتسرب إلى المنطقة منذ النصف الثاني من القرن الأول للهجرة/السابع الميلادي واستمر هذا التسرب طيلة القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي وهو تاريخ يتفق إلى حد كبير مع الروايات التي تحدثت عن وصول الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي [3] .

مسالك الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو

أولاً / مسالك الإسلام إلى أفريقيا : -

قبل ان نتطرق إلى موضوع مسالك الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو لابد أن نلقى نظرة موجزة على الطرق التي دخل عن طريقها الإسلام إلى أفريقيا ، على اعتبار أن بلاد الكانم والبرنو جزء من هذه القارة وقد وصل الإسلام إلى هذا الجزء بعد أن مر بأجزاء أخرى من أفريقيا ، وقد تناولت أغلب المراجع هذا الموضوع بشكل أصبح فيه غنى عن التفصيل لذلك سنتناول هذا الموضوع بإيجاز كمدخل إلى النقطة الرئيسية وهي طرق وصول الإسلام إلى الكانم والبرنو .

لقد دخل الإسلام إلى إفريقيا عبر طريقين ربطا هذه القارة بالشرق وهذان الطريقان هما : -

1 – طريق شبه جزيرة سيناء / وهو المعبر البرى الوحيد الذي يربط أفريقيا بآسيا، ويمكننا القول أن الإسلام دخل إلى القارة الأفريقية من خلال هذا الطريق عبر مرحلتين:-

---

[1]- الحموي - المصدر السابق – جـ 4 – ص 420 .

[2] –المصدر نفسه – جـ 4 – ص 420 .

[3] –العمرى – المصدر السابق – ج2–ص 97 – ، البكرى – المصدر السابق – ص11.

أ – مرحلة الفتح العسكري :- وقد بدأت هذه المرحلة منذ دخول عمرو بن العاص إلى مصر فاتحا سنة 19 هـ / 640 م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيث طرد الروم من مصر [1]، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مصر القاعدة الإسلامية التي عبرت منها جيوش الفتح إلى بقية شمال أفريقيا طيلة القرن الأول للهجرة بداية من عمرو بن العاص حتى آخر القادة الذين رسخوا الإسلام في شمال أفريقيا وهو موسى بن نصير [2].

ب – مرحلة الهجرات السلمية : إذا كانت مرحلة الفتح العسكري قد نجحت في إخراج الروم من شمال أفريقيا وكسرت شوكة مقاومة بعض القبائل البربرية فإن مرحلة الهجرات السلمية التي استقرت في شمال أفريقيا بعد أن عبرت مصر كان لها دورها البارز في بلاد المغرب [3]، ولعل أبرز هذه القبائل بنى هلال وبنى سليم التي كان لها دور كبير في نشر اللغة العربية في شمال أفريقيا .

2 – طريق باب المندب ، وهو مضيق بحري يفصل بين قارة أفريقيا وأسيا في جنوب البحر الأحمر ، وقد ربط هذا المضيق منذ عصور قديمة بين العرب والأفارقة

حيث عبرته بعض الهجرات التي استقرت في منطقة الساحل الشرقي لإفريقيا ، بالإضافة إلى الحركة التجارية الكبيرة بين منطقتي الخليج العربي وبلاد اليمن وبين مناطق شرق أفريقيا ،لذلك كان من الطبيعي أن يتسرب الإسلام مع الهجرة

---

[1] –ابن عبد الحكم – فتوح مصر وأخبارها – ص 76 .

[2] –موسى بن نصير :ولد سنة 19 هـ في خلافة عمر بن الخطاب وكان والده على حرس معاوية ، وقد تولى موسى أفريقيا سنة 77هـ وتمكن من مواصلة فتح بلاد المغرب حتى وصل إلى بلاد السوس بالمغرب الأدنى ثم شارك في فتح الأندلس وأمره الخليفة الوليد بن عبدالملك بالعودة إلى دمشق فوصلها في خلافة سليمان بن عبدالملك وتوفى سنة 97 هـ،أنظر– ابن خلكان– المصدر السابق–ج3 –ص 160

[3]– أحمد ابن أبي يعقوب اليعقوبي– البلدان – بيروت – دار احياء الثرات الاسلامي –1988– ص94 – أنظر أيضاً – الادريسي – المصدر السابق – ص133

والتجارة إلى شرق أفريقيا ، وقد بدأ هذا التسرب مع الهجرة الأولى للحبشة [1] التي وصل عن طريقها الإسلام إلى القارة الأفريقية قبل أن يصل إلى المدينة المنورة ، ثم تواصلت الهجرات من شبه الجزيرة العربية إلى مناطق شرق أفريقيا وظهرت جاليات إسلامية كبيرة في تلك المناطق ونجحت هذه الجاليات في إقامة عدد من الممالك الإسلامية التي كان لها دور في نشر الإسلام في المنطقة [2]

ثانياً / مسالك الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو

بعد ان تعرفنا في لمحة موجزة على الطرق التي سلكها الإسلام إلى القارة الأفريقية سنتحدث عن وصول الإسلام إلى مناطق جنوب الصحراء لنجد أنه وصل إلى هذه المنطقة من خلال الشمال والشرق[3]، أما بلاد الكانم فأول مانلاحظه في هذا الموضوع أن الإسلام بحكم ارتباط انتشاره في المنطقة بالتجارة والهجرة ، وبحكم وجود علاقات تجارية وهجرات سابقة إلى المنطقة قبل ظهور الإسلام فإن الإسلام قد وصل إلى بلاد الكانم عبر نفس الطرق القديمة التي سلكتها الهجرات والقوافل التجارية فقد رأينا عند حديثنا عن حملة عقبة التي وصلت إلى مشارف بلاد الكانم [4] إنها سلكت نفس الطريق القديم الذي يربط الساحل بالصحراء ، ويرجع هذا بالتأكيد إلى عوامل تتعلق بأتساع الصحراء وقلة الماء ، وانتشار الواحات والمراكز التجارية على طول هذا الطريق[5] لتزويد القوافل بالماء والزاد في رحلتها التي تستغرق شهوراً ، ومن هنا فإن حديثنا عن الطرق التي أوصلت الإسلام إلى منطقة بحيرة تشاد سيتعلق بالطرق التجارية ،لذلك سنتناول هذه الطرق بإيجاز على أننا سنتحدث عنها بتفصيل اكثر خلال تناولنا

---

[1]– ابن خلدون – المصدر السابق – جـ 2 – ص 719 .

[2]– لمزيد من التفصيل حول هذه الممالك التي أقامتها الجاليات الإسلامية في شرق أفريقيا أنظر " رجب محمد عبدالحليم – العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية – القاهرة – دار النهضة العربية – 1999 م "

[3]N. Levtzion – R, Andal , L. Pouwels – The History Islam In Africa –Ohaio University United states Of American – 2000-p1

[4] - الحموى – المصدر السابق – جـ 4 – ص 420 .

[5] - ابن حوقل –المصدر السابق– ص 100 .

للعلاقات الاقتصادية بين بلاد الكانم والمغرب في الفصل الثالث من هذا البحث ، وتتلخص أبرز الطرق التي سلكتها الهجرات و القوافل فيما يلي : -

1- الطريق الذي يبدأ من طرابلس وينحدر جنوباً إلى بلاد الكانم ماراً بواحات فزان ثم إقليم كاوار ويعبر جبال تيبستى حتى يصل إلى " جيمى ".

2- الطريق الذي يبدأ من جنوب تونس ويمر بواحات غدامس[1] وغات[2] حتى يصل إلى إقليم برنو غرب بحيرة تشاد .

3- الطريق الذي يبدأ من أسيوط ويمر بواحات الصحراء الغربية ، ثم إقليم دارفور حتى يصل إلى بلاد الكانم والبرنو .

هذه أبرز الطرق التي تصل مباشرة بين شمال أفريقيا وبلاد الكانم ، ولكن هناك اتصالات أخرى عبر مناطق مجاورة لبلاد الكانم أسهمت أيضاً في نشر الإسلام في المنطقة ، حيث تأثرت بلاد الكانم بالصلات الوثيقة التي ربطت مصر ببلاد النوبه فقد انتقلت التأثيرات الإسلامية من مصر باعتبارها القاعدة الأولى للإسلام في شمال أفريقيا إلى الجنوب على يد بعض القبائل العربية التي بدأت تغادر مصر وتنطلق نحو الجنوب ومن بلاد النوبه لا نستبعد انتقال التأثيرات الإسلامية إلى إقليمي كردفان ودارفور ثم إلى بلاد الكانم والبرنو ، كذلك ليس هناك ما يمنع وجود تأثيرات إسلامية من ناحية الغرب فانتشار الإسلام في غرب

---

(1) -غدامس : منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المأهولة ، سكانها أغنياء لهم بساتين ونخل وأموال لإنهم يتجرون مع بلاد السودان " أنظر الوزان – المصدر السابق – جـ 2 – ص 146 .

(2) -غات : إحدى المراكز التجارية فى منتصف الطريق بين الساحل ومنطقة بحيرة تشاد وتصلها بغدامس طريق تجارى ، كما ترتبط ببلاد كانم بطريق أخر مما أهلها لتكون حلقة وصل بين مناطق الساحل ومنطقة بحيرة تشاد " أنظر– محى بوعزيز– طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى "تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى نهاية القرن التاسع عشر – بغداد – معهد البحوث والدراسات العربية – 1984 – ص 131 ، لمزيد من التفاصيل حول هذه المدينة أنظر :نجمي رجب ضياف –مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية –طرابلس –مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية –1999م. "

إفريقيا قد أثر إيجابياً على منطقة السودان الأوسط بحكم موقع هذه المنطقة المتاخم للسودان الغربي من الناحية الشرقية .

نخلص من هذا إلى أن مسالك الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو كانت متعددة بتعدد المناطق المتاخمة لهذه البلاد وتتباين أهمية هذه الطرق بتباين أهميتها بالنسبة للمنطقة بمعنى أن أهمية هذه الطرق ودورها في نشر الإسلام مرتبط بنشاط حركة التجارة والهجرة عبر هذه الطرق .

جـ / وسائل انتشار الإسلام في الكانم والبرنو

عرفنا فيما سبق إجماع المؤرخين على أن الإسلام لم يصل إلى بلاد الكانم عن طريق الفتح العسكري بل وصل بطرق سلمية ، وقد استغرق انتشار الإسلام في المنطقة مدة طويلة ، كما تعددت المسالك التي وصل عن طريقها الإسلام ، وقد ترتب على هذا التعدد تنوع الوسائل التي انتشر بها الإسلام في المنطقة فمن الطبيعي أن ينتشر الإسلام بأكثر من وسيلة بعد استبعاد وسيلة الفتح العسكري ولعل أبرز هذه الوسائل :

1 – دور الهجرات في نشر الإسلام في بلاد الكانم والبرنو /

تعد الهجرات الجماعية التي تحركت من مضاربها في جنوب فزان وجبال تيبستى نحو منطقة بحيرة تشاد من أبرز الوسائل التي أدت الى نشر الإسلام في المنطقة ، فهذه القبائل قد اعتنق أغلبها الإسلام بعد فتح بلاد المغرب [1]، ثم تحركت جنوباً فاستقرت في منطقة بحيرة تشاد واختلطت بالسكان المحليين عن طريق التجاور والمصاهرة وكان لها دور في نشر الإسلام بالمنطقة كذلك فإن الكثير من القبائل العربية التي غادرت شبه الجزيرة العربية واستقرت في مصر وبلاد المغرب قد نزحت نحو الجنوب واستقر بعضها في منطقة بحيرة تشاد ومن

[1]– الوزان – المصدر السابق – ج1– ص 68 .

أبرز هذه القبائل جهينة وجدام وربيعة وفزارة[1] ، وقبل أن نتناول أبـــرز القبائـــل التي هاجرت إلى بلاد الكانم وكان لها دور في نشر الإســـلام، هنـــاك ســـنحاول التعرف على أهم الأسباب الكامنة وراء هذه الهجرات وتتلخص فيما يلى: -

1 – أسباب اقتصادية وتتمثل في قسوة الطبيعة الصحراوية ، ونقص مـــصادر المياه والكلأ ، حيث كان من نتائج الجفاف تناقص السكان في الجزء الشمالي من المنطقة وتمركزهم في الجنوب ، فهذا الجفاف دفع القبائل للبحث عن مكان تتـــوفر فيه المياه والأرض الخصبة وكان أقرب مكان لهذه القبائل القاطنة جنوب فزان هو بحيرة تشاد .

2 – أسباب سياسية فالعامل الاقتصادي لم يكن وحده المحرك لظاهرة الهجـــرة من الشمال إلى الجنوب ولكن الأحداث السياسية التي شهدتها منطقة المغرب كانت من عوامل حركة الهجرة ، حيث كان الأباضية[2] من بين أول وأكثر المجموعات التي أجبرت بعضها الظروف السياسية على مغادرة الشمال والهجرة جنوباً إلـــى الصحراء وبلاد السودان[3] فبعد انتشار المذهب الأباضى في بلاد المغرب وبدايـــة محاولاتهم تأسيس دولة في المنطقة على أساس المذهب الأباضى قـــام العباســـيون بالتصدى لهم في عهد أبى جعفر المنصور (136-158هـــ/753-774م) وقتـــل

---

(1) - اليعقوبى – البلدان – ص 94 . أنظر أيضاً : حسن أحمد محمود – المرجع السابق – ص 89، ابراهيم صالح – المرجع السابق – ص 1

(2) –الأباضية / فرقة إسلامية تنسب إلى عبدالله بن أباضى التميمى الذى ظهر فى عهد مـــروان بـــن محمد وبايعه أتباعه سنة 129 هـــ /746م، وقد استحلوا بعض أموال مخالفيهم من الأمة رغم انهم لم يكفروهم وأعتبروا أن دار مخالفيهم من المسلمين دار توحيد باستثناء معسكر السلطان فإنه دار بغى ، كما قالوا بأن الإصرار على الذنب كفر ، وقد ظهرت هذه الفرقة فى عمان وحضر موت ثم انتقلـــت إلى بلاد المغرب وعاشت فى صراع مع الولاة العباسيين " عبدالمنعم الحفنـــى – موســـوعة الفـــرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية – القاهرة – مكتبة مـــدبولى 1999 م – ص 24 ." أنظر أيضاً { رجب محمد عبدالحليم – الاباضية فى مصر والمغرب – مسقط – مكتبة العلـــوم – 1990 .

(3) -صباح إبراهيم الشيخلى – الوجود العربي فى كانم فى السودان الأوسط – مجلة المؤرخ العربي – عدد 35 – 1988 م – ص 125 .

منهم حوالي 12 ألفا[1] حيث تمكن الوالي العباسى محمد بن الأشعث من الانتصار عليهم وعلى أثر هذا الإنتصار انسحب بعض الأباضين جنوباً إلى منطقة فزان واستقروا في مدينة زويلة والمرجح أن الوجود الأباضى في زويله قد ساعد على تسرب العناصر العربية إلى بلاد كانم والبرنو ويؤكد هذا وجود علاقات تجارية بين زويله والكانم والبرنو حيث يذكر اليعقوبى أن سكان زويله " قوم مسلمون أباضيون "[2] ، ويتحدث أيضاً عن وجود تجارة متبادلة بين الأباضيين وبلاد الكانم والبرنو[3] والخلاصة أن الصراع بين العباسيين والقوى الأباضية في بلاد المغرب الأدنى قد دفع بعض العناصر إلى الهجرة جنوباً ، وكان لهذه الهجرات دور في نشر الإسلام في منطقة بحيرة تشاد .بالإضافة إلى هذين العاملين الأساسين فهناك بعض العوامل التي تدخل بشكل مباشر تحت هذين العاملين ولكنها مرتبطة بأحداث معينة منها ضغط القبائل العربية التي استقرت في شمال أفريقيا على القبائل البربرية ونشوب بعض النزاعات حول مصادر المياه مما دفع هذه القبائل للهجرة جنوباً

كذلك فان قدوم بنى هلال وبنى سليم إلى بلاد المغرب كان سبباً في هجرات قبائل كثيرة إلى منطقة الصحراء[4] ، ومما يدل على تزايد نفوذ العرب على حساب السكان الأصليين أن الإدريسي ختم حديثه عن مدينة زويله بقوله : " وكل هذه الأراضي التي ذكرناها ملك بأيدي العرب"[5] ، كذلك من العوامل التي شجعت القبائل على الهجرة خلو المنطقة من العوائق الطبيعية التي قد تعرقل هذه الهجرات، فمنطقة بحيرة تشاد تعد امتدادا لمنطقة الصحراء مما سهل الانتقال إلى هذه المنطقة والاستقرار بها .

---

[1] - ابن عذارى –المصدر السابق– ج1–ص72 – انظر أيضا– ابن خلدون– المصدر السابق – جـ 4 – ص 411 .

[2] - اليعقوبى – البلدان – ص 102 .

[3] -المصدر نفسه – ص 345 .

[4] -حسن أحمد محمود – المرجع السابق – ص 52 .

[5] -الأدريسى – المصدر السابق – ج 1 – ص 313.

أهم القبائل التي أسهمت في نشر الإسلام في بلاد الكانم /

1 – الطوارق : –

يرجع أصل الطوارق إلى صنهاجه من البربرعلى رأى ابن خلـدون[1] ويـسمون أحيانا بالملثمين نسبة إلى انتشار اللثام بينهم ، وقد استقرت هذه القبائل منذ عصور بعيدة عند الحدود الشمالية لإقليم برنو[2] ، ويؤكد هذا ابن خلكان بقولـه : { انهـم أصحاب ابل وخيل كثير ويسكنون الصحارى الجنوبية }[3] ، والطوارق ينسبون أنفسهم للعرب ويقولون انهم من حمير إبن سبأ وقد جاءوا إلـى منطقـة شـمال أفريقيا بعد خراب سد مأرب [4] ، ولسنا بصدد مناقشة هذا النسب لأنه يخرج بنـا عن موضوعنا الرئيسي وهو أثر هجرات الطوارق على انتشار الإسلام في الكانم.

لقد أعتنق الطوارق الإسلام بعد مرحلة الفـتح العـسكري ، حيـث وصـفوا بأنهم(على دين الاسلام وأتباع السنة)[5]، وحلت اللغة العربية تدريجياً محل لغاتهم القديمة ، ولعل مما ساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها فضلاً عن الجانب الديني المرتبط بها أن الكثير من الشعوب الأفريقية في السودان الأوسط والغربـي قد إدعى الأصول الشرقية[6] ، وكان لإسلام الطوارق أثر كبير في قيـام نـشاط توسعي نحو الجنوب لنشر الإسلام ، ولعل أبرز الهجرات التي أسهم بها الطوارق في نشر الإسلام في منطقة بحيرة تشاد هي تلك الهجرة التي وفدت إلى المنطقة في بداية القرن الثالث الهجري " التاسع الميلادي " حيث استقر الطوارق بعـد هـذه الهجرة في منطقة بحيرة تشاد ، واختلطوا بالسكان المحليين وأدى هذا الاخـتلاط

---

(1) –ابن خلدون – المرجع السابق – جـ 6 – ص 198

(2) - طرخان – المرجع السابق – ص 32 .

(3) –ابن خلكان – المصدر السابق –جـ 3 – ص 476

(4) – المصدر نفسه – جـ 3 – ص 476 ، أنظر أيضاً القشاط – المرجع السابق – ص 23

(5) -أحمد بابير الأرواني–جواهر الحسان في اخبار السودان – تحقيق : الهادي المبروك الدالي –بنغازي–دار الكتب الوطنية – 2001–ص 56

(6) –السعدى – المصدر السابق – ص 4 .

إلى انتشار الإسلام بشكل تدريجي بين السكان ، ومما يؤكد هجرة الطـــوارق فـــي هذه الفترة ارتباطها بظهور الأسرة الماغومية ، وبداية تأسيس دولة الكانم والبرنو على اعتبار أن هذه الأسرة تنتمى إلى نبلاء الطوارق .

2 – التيبو /

التيبو من القبائل البربرية القديمة التي سكنت منطقة الصحراء جنـــوب فزان وتحديداً في منطقة جبال تيبستى ، وقد عرف جزء من التيبو بأسم التيـــدا [1] وهم سكان الصحراء الواقعة شمال مرتفعات تيبستى ، ويجمع التيبو بين خصائص البيض والسود فملامحهم لم تكن زنجية صرفه بل كانت تغلب عليهم السمرة بسبب اندماجهم مع الزنوج من جهة وتأثرهم بالدماء العربية من جهة أخرى [2]، ووجود التيبو في المنطقة قديم جداً وقد تميزت حياتهم بالاستقرار المؤقت في بعض أماكن جبال تيبستى، والاتجاه نحو الجنوب كلما قست عليهم الحياة الصحراوية .

لقد اعتنق التيبو الإسلام بعد وصوله إلى المنطقة ، والمرجح أن الإسلام بـــدأ يتغلغل في قبائل التيبو بعد حملة عقبة على كاوار"49 هـــ/ 669 م" [3] ، وذلـــك لوجود التيبو بين هذا الإقليم وبين جبال تيبستى ، وكان للتيبو دور هام فـــي نـــشر الإسلام في بلاد الكانم حيث زادت هجرات التيبو إلى المنطقة منذ القـــرن الثالـــث الهجري " التاسع الميلادي " واستمرت هذه الهجـــرات طيلـــة القـــرنين الخـــامس

---

[1]- تعنى كلمة التيبو :سكان الجبال نسبة لإقامتهم بجبال تيبستى بينما تعنى كلمة التيدا " سكان سفح الجبل " وهم فرع من التيبو فضلوا الإقامة فى الواحات والسفوح أنظر: فضل كلود – المرجع السابق– ص 70

[2]– Palmer - the Bornu Sahara .p 125

[3] –يرى بعض الباحثين أن التيبو هم الذين ذكرهم هيردوت ووصفهم بسكان الكهوف الذين يعيشون وراء ديار الجرمانيتين وربما أعتمد هذا الرآى على إنطباق الصفتين على التيبو وهى حياتهم فى الكهوف وكونهم يعيشون وراء ديار الجرمنت . أنظر عبداللطيف البرغوثى – التاريخ الليبى القديم – بيروت – دار صادر – 1971 م – ص 16 .

والسادس الهجري "الحادي عشر والثاني عشر الميلادي" [1]، ويربط بعض الباحثين بين هذه الهجرة وبين أساطير الصو التي تتحدث عن سلطان البربر الذي طلب من ملك الصو أن يمنحه أرضاً فتناول ملك الصو قضيباً ضخماً من الحديد وطواه بيده حتى جعل منه دائرة كبيرة بلغ قطرها نحو مائة ميل ، ثم أذن لسلطان البربر في الإقامة مع قومه داخل نطاق هذه الدائرة [2]، ولئن كان الطابع الأسطوري البعيد عن الواقع واضحاً في هذه الرواية فإن مايهمنا منها أنها تتحدث عن هجرة بربرية إلى الجنوب ، وأن هذه الهجرة كانت سلمية ، ويرى بعض المؤرخين أن هذه الهجرة المقصودة في هذه الرواية هي هجرة التيبو الذين اعتنقوا الإسلام ، وأن هذه الهجرة حدثت بعد عام 200 هـ / 815 م [3]، وهذا التاريخ يتفق مع ذكرناه فيما سبق من أن هجرة التيبو إلى الجنوب بدأت خلال القرن الثالث الهجري " التاسع الميلادي " وتحول التيبو بعد هذه الهجرة إلى دعاة للإسلام ،أما ماذكر عن التيبو من كثرة الغارات والحروب فيما بينهم، وقيامهم بنهب قطعان الماشية ، واختطاف النساء والأطفال واسترقاقهم [4] فالمرجح أن هذه الأعمال كانت قبل دخول التيبو الإسلام ، لأنه من المستبعد وجود مثل هذه الأعمال في مجتمع اعتنق الإسلام وتأثر بمبادئه التي تحارب مثل هذه الأعمال .

3 – الفولاني /

ينتمي الفولانيون إلى القبائل البربرية التي قطنت الشمال الإفريقى منذ القدم ويعرفون بأكثر من اسم فيسمون أحياناً " الفلاتا " وأحياناً " التيدا " ، وأحياناً أخرى

---

[1]- الذهبى – المصدر السابق – جـ 1 – ص 37 .

[2]- طرخان – المرجع السابق – ص 28 .

[3]- المرجع نفسه – ص 28 .

[4]- الوزان – المصدر السابق – جـ 2 – ص 168 .

" الفلب" [1]، ويرى بعض المؤرخين أن الفولانيين ينتمون إلى قبيلتي جهينة وتميم وقد وفد أجدادهم إلى شرق أفريقيا ومنها استقروا في أطراف حوض النيجر [2].

لقد اعتنق الفولانيون الإسلام ، وحاولوا إثبات نسبهم إلى الرجل الذي نشر الإسلام في مناطق الصحراء وهو عقبة بن نافع مما يدل على حرصهم على الارتباط بالنسب العربي[3]، وقد هاجر الفولانيون إلى منطقة بحيرة تشاد خلال القرن الثالث الهجري " التاسع الميلادي " ، وانتشروا خلال القرن الرابع والخامس الهجري " العاشر والحادي عشر الميلادي " في أقاليم بلاد الكانم والبرنو ، وكان لهم دور في نشر الإسلام في المنطقة ، حيث تدل المحارم[4] التي أصدرها مايات الكانم والبرنو على بروز عدد من العلماء الفولانيين الذين اعتمدت عليهم الدولة ، وأسندت إليهم مناصب القضاء والإمامة وإصدار الفتاوى مما يدل على رسوخ أبناء هذه القبيلة في الإسلام .

4 – القبائل العربية /

لقد تحركت القبائل العربية بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا فسكن بعضها مصر بينما توغل البعض الآخر في بلاد المغرب ، ووصل بعضها إلى مناطق

---

[1] –يرجع تعدد اسماء الفولانى إلى تعدد علاقاتهم بجيرانهم حيث عرفوا بأسم " الفلاتا " عند الكانورى ، كما عرفهم اهل السودان الشرقى بأسم " التيدا "،أما أسم " الفلب " فقد أطلقه عليهم قبائل الهوسا والطوارق Palmer - the Bornu Sahara . p 242 - انظر ايضا فضل كلود – المرجع السابق – ص 82

[2]- الطيب عبدالرحيم – الفلاتة في افريقيا – الكويت – دار الكتاب الحديث – 1994– ص 17

(3) – تدعى أسطورة هذا النسب أن عقبة بن نافع بعد توغله في أفريقيا ترك ألفين من جنوده على ضفاف نهر النيجر وقد تزاوج هؤلاء الجنود من السكان الأصليين وحرفت كلمة ألفان إلى الفلان ، أنظر الهادي المبروك الدالي – قبائل الفلان –دراسة وثائقية – بنغازي–دار الكتب الوطنية – 2003– ص13 .

[4]- المحرم / امتياز يمنحه السلطان لإحد العلماء ويعفى بموجبه من الضرائب ويحصل على امتيازات مادية ومعنوية – " أنظر طرخان – المرجع السابق – ص 65 ".

وسط أفريقيا ، ومن بينها بلاد الكانم ، ويعبر القلقشندى عن هذا الانتشار بقوله : " إلى أن كان الفتح الإسلامي فتوغلوا في البلاد حتى وصلوا إلى بلاد الترك وما داناها وصاروا إلى أقصى المغرب وجزيرة الأندلس وبلاد السودان وملئوا الآفاق وعمروا الأقطار "[1] ففي ذكر القلقشندى لبلاد السودان إشارة للوجود العربي المبكر بهذه المنطقة .

لقد أطلق على القبائل العربية التي استقرت في بلاد كانم اسم الشوا [2] ومن أبرز هذه القبائل جهينه وجدام ولخم وبعض فروع قبيلة فزارة [3] ، وقد تحركت أغلب هذه القبائل من مصر[4] الى الجنوب الغربي حيث استقرت في منطقة بحيرة تشاد ، وأصبحت من العناصر السكانية التي لعبت دورا في تاريخ هذه المنطقة وأسهمت في نشر الإسلام حيث اختلطوا بالسكان وانصهروا معهم { فعندما آمن العرب اصبحوا مواطنين بهذه البلاد ممتزجين بالأفارقة }[5]، وكان من نتيجة هذا الاختلاط تسرب مبادئ الإسلام من مصر التي قامت بدور هام في استيعاب الهجرات العربية الوافدة من الجزيرة وصارت مركز الإشعاع الديني والحضاري بعد الجزيرة العربية .

---

[1]- القلقشندى – المصدر السابق – ج 6 – ص 19 .

[2] –الشوا : اسم اطلقه السكان المحليون على القبائل العربية التي استقرت في منطقة بحيرة تشاد وهناك اختلاف حول مدلول هذا اللفظ ، فالبعض يرى أنه بمعنى جميل في لغة برنو ، والبعض الاخر يري انه يعنى القليل ، بينما يرى آخرون انه يعنى العصاه الخارجين عن الطاعة ورأى آخرون انه مشتق من الشياه ورعي الأغنام ، ويميل الباحث الى الأخذ بالرأي الاخير بحكم اعتماد اغلب القبائل العربية على الاغنام في حياتهم البدوية { انظر – ابراهيم صالح – المرجع السابق ص3، طرخان – المرجع السابق ص30 }

[3]- اليعقوبي–تاريخ اليعقوبي–ج1–ص 190، انظر ايضا : حسن احمد محمود – المرجع السابق ص89

[4] - لمزيد من التفصيل حول هجرة القبائل العربية إلى مصر وأماكن استقرارهم بها أنظر : تقي الدين أحمد المقريزي –البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب – تحقيق : عبدالمجيد عابدين – القاهرة –دار عالم الكتب –1967– أنظر أيضاً – العمري– المصدر السابق– ج3–ص64

[5] - الوزان – المصدر السابق– ج1 – ص41

2- دور التجار والدعاة في نشر الإسلام في بلاد الكانم/

لقد كانت العلاقة التجارية بين بلاد الكانم والمغرب قديمه جدا حيث عرفت الطرق التجارية التي تربط بين المنطقتين قبل ظهور الإسلام ، فالكانم بحكم موقعها وحاجتها إلى منفذ لمنتجاتها كانت على اتصال بالشمال الأفريقي منذ عهد بعيد ، فمنذ أقدم العصور كانت تربط منطقة طرابلس ببحيرة تشاد طرق تجارية عبر زويله بفزان وواحات كاوار[1] ، وهذا يخالف ما ذكرته بعض المصادر من أن طريق زويله – كانم برنو قد تم افتتاحه بعد حملة عقبه على كاوار { 49هـ /669م} [2]، وهذا الرأي لايستقيم مع المصادر التي تحدثت عن العلاقات التجارية القديمة عبر هذا الطريق منذ أقدم العصور ، ثم ازداد النشاط التجاري بين الطرفين بعد ظهور الإسلام بحكم الاستقرار السياسي الذي أعقب الفتح العربي لشمال أفريقيا ، وما يهمنا هنا هو دور التجارة في نشر الإسلام في منطقة بحيرة تشاد ، وقد عرفت هذه المنطقة التجار في المرحلة الأولى{ مرحلة ما قبل الإسلام } وهم يجسدون حياة الجاهلية في طرق تعاملهم مع الأفارقة ، وبدخول هذه الفئة في الإسلام تغير سلوكهم ومعتقداتهم فأصبحت حياتهم تسير بالمعيار الإسلامي[3]، فهذا الانقلاب الإيجابي سيولد بدون شك مجموعة من الأسئلة في نفوس السكان المحليين عن عوامل هذا التغيير وستوصلهم هذه الأسئلة تدريجيا إلي التعرف على

---

[1] -اليعقوبي- البلدان –ص 102- أنظر أيضاً- آمين الطيبي – المرجع السابق – ص77

[2]- الحموى – المصدر السابق –ج4 –ص420

[3] - عطية مخزوم – دراسات في تاريخ شرق أفريقيا – جنوب الصحراء – بنغازي – جامعة قار يونس -1998 – ص74

الإسلام ومبادئه الملائمة للفطرة البشرية ليجدوا في هذا الدين السماوي الحلول النهائية لمشاكلهم والأمان لحياتهم الاجتماعية التي تسودها الفوضى [1]

لقد تأثرت التجارة بالأحداث السياسية التي شهدتها بلاد المغرب فبعد نجاح أصحاب المذهب الأباضي في تأسيس دولة لهم في تاهرت بالمغرب الأوسط في القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي وحرصت تلك الدولة على قيام حركة تجارية نشطة مع بلاد السودان

لقد كان للتجار الفضل في فتح أبواب التعامل بين المسلمين والوثنيين ، فكانت محكا جيدا للتعامل بين حضارة الوثنيين الواهية والحضارة الإسلامية المميزة التي استوعبت ما سواها[2]، وقد كان التجار المسلمون دعاة لدينهم عبر وسيلتين :

أ – الدعوة بشكل مباشر: وتتمثل في وجود بعض العلماء والفقهاء الذين فرغوا أنفسهم للدعوة إلى الاسلام مستعينين بما يحملونه من فقه ، ولم ينشغلوا بأمور التجارة وقد استقر بعض هؤلاء في مناطق ماوراء الصحراء وكان لهم دور ملموس في اسلام الافراد والحكام بمنعى أن التجار العرب لم يكونوا وحدهم بل ساهم الدعاة المتفرغون للدعوة في نشر هذا الدين[3].

ب– الدعوة بشكل غير مباشر: وتتمثل في طريقة تعامل التجار المسلمين مع السكان المحليين حيث كانوا ينشرون الإسلام بسلوكهم الحسن ومعاملاتهم

---

[1] – الوزان–المصدر السابق –ج2–196– الدمشقي– المصدر السابق – ص 318 –أنظر أيضاً أحمد الفيتوري – الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان – مجلة البحوث التاريخية – طرابلس – مركز دراسات جهاد الليبيين – العدد الثاني – يوليو – 1981م – ص247

[2]- يرجع حرص الاباضيين على إقامة علاقات تجارية مع بلاد السودان إلى وضعيتها السياسية حيث كانت في عداء مستمر مع الدولة العباسية خاصة بعد ظهور إمارة الاغالبة الموالية للعباسيين ، وكذلك مع دولة الادارسة في الغرب فأصبح الاتجاه الاقتصادي نحو الجنوب خيار لابديل له لاستمرار المقومات الاقتصادية لهذه الدولة (انظر – ادريس صالح الحرير – العلاقات الاقتصادية الثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء أثرها في نشر الإسلام هناك – مجلة البحوث التاريخية – طرابلس – مركز دراسات جهاد الليبيين – العدد1 – يناير– 1981 م – ص78)

[3]- Ibrahim baba – Op cit –P141

الإسلامية الصادقة التي يقوم بها التاجر طواعيـــة واختيـــارا لا تكلـــف فيـــه ولا تصنع[1]،إذا فالتاجر المسلم قد اثر في المجتمعات التي وصل إليها باعتباره قـــدوة حسنه في السلوك ،أما ما ذكره بعض الباحثين من أن التاجر المسلم (مـــا كـــان يدخل قرية وثنية[2] فسرعان ما يلفت إليه الأنظار بكثرة وضوءه ، وانتظام أوقات صلواته وعبادته التي يبدو فيها وهو خاشع لربه ومنظر سجوده وسكينته يـــضفي عليه من المهابة والجلال ما يحرك فطرة الأفريقي الوثني) [3]، فنعتقد أن ما يمكن أن يلفت الأنظار هو طريقة المعاملة الحسنة والصدق في المبادلات التجارية التي تجعل الأفريقي يتساءل عن سر هذا التغير الذي طرأ على التجار بعـــد دخـــولهم الإسلام ، أما طريقة العبادة والخشوع والسكينة خلال الصلاة فهي أمـــور لايفقـــه منها الأفريقي شيئا ، ولايدرك آثرها إلا بعد اعتناقه للإسلام لذلك لانتوقع أن يكون تأثيرها كبيرا في لفت نظره .

إن نقص مصادر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لتلك الفترة ، وتركيز المـــصادر على أحداث التاريخ السياسي قد حرمنا من التعرف على نماذج من هؤلاء التجـــار الذين أسهموا في نشر الإسلام في منطقة بحيرة تشاد ، وربما يرجع الـــسبب فـــي ندرة المعلومات أيضاً إلى ازدهار العلاقات التجارية وكثرة التجار الوافـــدين إلـــى بلاد الكانم مما جعل الأمر مألوفاً لايمكن حصره في أفراد ، ولكن الذي لاشك فيه هو أن الدعوة الإسلامية كانت تسير بجانب التجارة .

---

[1] - الوزان – المصدر السابق – ج1– ص 67 – أنظر أيضاً N . Levtzion- Op- Cit -p68.

[2] - لقد كانت الوثنية هى الطابع المميز للحياة الدينية فى بلاد الكانم والبرنو قبل وصول الإسلام فالتجار المسلمون كانوا يتعاملون مع هذا المجتمع الوثنى قبل أن يتحول إلى الإسلام " أنظر موضوع حياة الكانم الدينية قبل الإسلام ، فى الفصل التمهيدى من هذا البحث "

[3] –حسن عيسى عبد الظاهر– المرجع السابق ص 79 .

د / عوامل انتشار الإسلام في الكانم والبرنو

لقد رأينا فيما سبق أنه من المسلم به لدى المؤرخين أن الإسلام انتشر في الكانم والبرنو بصورة سلمية ، وبوسائل متعددة ، وهناك بالتأكيد أسباب وراء هذه الظاهرة وهي انتشار هدا الدين بدون وجود إدارة رسمية تشرف على الدعوة وبدون وجود جيش يحميها ، ويمكن تقسيم العوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام في الكانم والبرنو إلى ما يلي :

أولا :- عوامل ذاتية تتعلق بالإسلام

نقصد بالعوامل الذاتية خصائص القوة في هذا الدين التي جعلته ينتشر في مناطق لم تصلها الجيوش الإسلامية ، بمعنى أن هناك أسبابا لاتتعلق بجهود الدعاة أو الأراضي التي انتشر فيها الإسلام بل تتعلق بقدرة هذا الدين على فرض نفسه بفعل خصائصه الملائمة للفطرة البشرية ولعل من أبرز العوامل الذاتية :

1- بساطة مبادئ العقيدة الإسلامية و ملاءمتها لكل عصر وبيئة ، فالمعروف أن الإسلام يتلاءم مع البيئات التي ينتشر فيها ويتخذ في كل منها طابعا محليا[1] ، ففي مناطق السودان الأوسط مثلا لم يقض الإسلام على النظم المحلية والعلاقات الاجتماعية المعتمدة على وحدة القبيلة بل أكسبها شكلا جديدا يتلاءم مع تقاليد الإسلام، ففي بلاد الكانم مثلا لم يلغ الإسلام النظام القبلي الذي كان سائدا في المنطقة حيث كانوا (قبائل لا يلحق عددهم ولا يوقف على أخرهم لكثرة بطونهم وتشعب أفخاذهم وقبائلهم }[2]، فالإسلام لايطلب من مقتنعيه أن يفقد أحدهم قوميته ولايقوض نظام الأسرة أو سلطة الجماعة .

2 – إن الإسلام لم يكن ديناً ينظم علاقة الإنسان بربه فقط ، بل كان نظاماً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، ولو تناولنا الجانب الاقتصادي على سبيل المثال فسنجد أن الإسلام ينظم الحياة الاقتصادية ، حيث أقر مبدأ اقتصادياً تعاونياً هو الزكاة وجعلها

---

[1]- حسن أحمد محمود – المرجع السابق – ص37

[2] -ابن حوقل – المصدر السابق – ص97

حقاً للفقراء في قوله تعالى " والدين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحـــروم "[1]، كما منع التعامل بالربا والغش ودعا إلى الوفاء بالعهود والصدق في المعاملـــة ، فهذه المبادئ وجد فيها الأفارقة عوامل للاستقرار والازدهار لذلك سارعوا لاعتناق هذا الدين ومما يؤكد تغلغل مبادئ هذا الدين في نفوس أهل كانم ما أقدمت عليـــه فاطمة أم الماى بيرى " 573 هـــ / 1177 م " حيث أمرت بوضعه فـــي الـــسجن لأنه لم ينفد أمر الشريعة الإسلامية بقطع يد السارق[2].

3 – كذلك من الأسباب الهامة التي ساعدت على انتشار الإسلام أنـــه لايعتـــرف بالتفرقة العنصرية ، ويعامل أتباعه سواسية ، فالداخل للإسلام يصبح بعـــد نطقـــه بالشهادتين عضواً في المجتمع الإسلامي بدون النظر إلى جنسه أو لونه أو طبقتـــه الاجتماعية وهذا من صلب المبادئ الإسلامية الواردة في قوله تعـــالى : " يأيهـــا الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم "[3].

ومن التطبيقات الإسلامية العملية لهذا المبدأ أن الإسلام حد من ظاهرة الاســـترقاق وحث على العتق ، وهذا الاتجاه مهم بالنـــسبة للأفارقـــة الـــذين عـــانوا مـــن ذل الاسترقاق ، أما استمرار تجارة الرقيق فهي اختراق وخروج عن هـــذه المبـــادئ القرآنية السامية وتصرفات فردية يسأل عنها أصحابها وليست تطبيقاً عملياً لمبادئ الإسلام الداعية لحرية الإنسان .

4 – ارتباط الإسلام بالعلم . فالراغب في اعتناق هذا الدين كان عليـــه أن يـــتعلم القراءة ليستطيع أداء شعائره ، ومن هنا ترافق بناء الكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة مع بناء المساجد . وأقبل الأفارقة على التعليم وواصل المتفوقون منهم دراستهم في المعاهد الإسلامية العليا في ذلك الوقت ، ومن جهة أخرى فإن المكانة التي جعلها الله للعلماء قد دفعت الأفارقة لدخول هذا الدين والحصول على نصيب من التعلـــيم

---

[1] - سورة المعارج – الآية 23 ،24.

[2] - ديوان الكانم والبرنو – ص 34 .

[3] - سورة الحجرات – الاية 13 .

لبلوغ هذه المكانة إذ يقول الله تعالى في كتابه العزيز "يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات "[1]، ولو طبقنا هذا المبدأ على دولة الكانم فسنجد أن حكام هذه الدولة قد اهتموا بالعلم و احترموا العلماء ويتجلى هذا بوضوح في ظاهرة إصدار المحارم التي تعطى امتيازات واسعة للعلماء وأسرهم[2]، مما يدل على تغلغل المبادئ الإسلامية التي تحث على العلم في نفوس الحكام[3].

ثانياً / عوامل تتعلق بالدعاة : –

لقد راينا فيما سبق أن الإسلام انتشر عن طريق الهجرات والدعاة والتجار ولعل مما ساعد هؤلاء الدعاة على أداء مهمتهم أنهم لم يكونوا غريبين عن البيئة الأفريقية حيث كانت مظاهر الاتصالات بين أقطار الشمال الأفريقي والبلاد الأفريقية جنوب الصحراء ترجع إلى فترة سابقة على ظهور الإسلام [4]، فهذه الصلات القديمة قد أفادت رجال الدعوة في التعرف مسبقاً على المجتمعات الأفريقية وأساليب حياتها مما ساعدهم على اختيار الطرق المناسبة لنشر الإسلام في هذه المجتمعات[5] ، كما أن ظاهرة الهجرات الجماعية المتجهة من الشمال إلى الجنوب كان لها دورها في تسهيل نشر الإسلام على اعتبار أن الدعاة لهذا الدين كانت تجمعهم أواصر النسب المشترك مع الكثير من القبائل المقيمة حول بحيرة تشاد " فمهما اختلفت مظاهر الأفارقة البيض والسود فإنهم ينتمون تقريباً إلى نفس الأصل "[6] .

---

[1] –سورة المجادلة – الآية 11 .

[2] طرخان – المرجع السابق – ص 38 .

[3] سنتناول بعض العلماء الذين أشتهروا فى دولة الكانم والبرنو وعلاقات هؤلاء العلماء ببلاد المغرب كنماذج للتواصل الثقافى بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو فى الفصل الخامس من هذا البحث الذى يتناول العلاقات الثقافية بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو .

[4] - محمد فرج دغيم – التواصل الثقافى الإجتماعى بين الأقطار الأفريقية الواقعة على جانبى الصحراء –ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الافريقية على جانبي الصحراء –كلية الدعوة الإسلامية– طرابلس 1998 – ص 606 .

[5] A. Batran- Islam and revolution in Africa – United state Of American –1984-P9

[6] - الوزان – المصدر السابق – ج1–ص 35 .

من جهة أخرى فإن أحد أسباب انتشار الإسلام في الكانم والبرنو يتمثل في صدق وحماس الرجال الذين تحملوا مهمة الدعوة ، فكان الوازع الـديني وطلـب الآخرة أكبر باعث جعل هؤلاء الرجال يقطعون المسافات الطويلـة ويتجـشمون الصعاب ، ويتغربون عن أهلهم لعدة سنين لكي يصلوا إلى تلك البلاد يقطعـون " مفاوز وبرارى قليلة المياه ، متعذرة المراعى" [1] ، بل منهم من ترك أهله نهائياً وأصبحوا " مواطنين بهذه البلاد ممتزجين بالأفارقة " [2] ، كذلك من العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام في مناطق جنوب الصحراء الطريق التي وصل بها إلى هذه المنطقة ، فهو لم يصل عن طريق الفتح العسكري كما هو الحال فـي شـمال أفريقيا بل وصل بطريقة سلمية ، حيث اعتمد الدعاة على أسلوب عرض الـدعوة وترك الناس بعد ذلك أحرارا في قبولها أو رفضها ،فلا شك أن هذا الأسلوب كان له أثره في تشجيع السكان على اعتناق هذا الدين ويعبر الوزان عن هـذا المعنـى بقوله : (فتمكن الإسلام حينئذ في هذه البلاد بصفة نهائية) [3].

ثالثاً / عوامل تتعلق بالأرض التي انتشر فيها الإسلام

لا شك أن العوامل الجغرافية تؤثر أحياناً في الأحداث التاريخية ، ولو طبقنا هذا على موقع بلاد الكانم لوجدنا أن هذا الموقع قد أثر بشكل إيجابى على علاقاتها ببلاد المغرب على اعتبار أنها "تمتد وراء صحراء زويله" [4]، فوجود الصحراء الكبرى لم يكن في يوم من الأيام عائقاً أمام تطور العلاقات بين الشمال والجنوب ، كذلك كانت طرق الصحراء معابر للهجرات من الشمال إلى الجنوب فعدم وجـود عوائق طبيعية تفصل بلاد الكانم عن منطقة الصحراء كان له دور فـي تـسهيل انتقال الدعاة والتجار إلى هذه البلاد لنشر الإسلام بها ، بمعنى أن بلاد الكانم تعـد

---

[1] -ابن حوقل – مصدر سابق – ص 100 .

[2] –الوزان – المصدر السابق – ج 1 – ص 41 .

[3] –المصدر نفسه –ج1– ص 68 .

[4]- البكرى – المصدر السابق – ص 11 .

امتداداً لمنطقة الصحراء الكبرى[1]مما جعلها تتأثر بالمؤثرات الدينيـــة والـــسياسية والإقتصادية التي تعرضت لها منطقة الصحراء ، ولعل أبرز المـــؤثرات انتـــشار الإسلام خلال القرن الأول الهجرى " السابع الميلادى " وانتقال هذا الـــدين عـــن طريق الهجرات والدعاة والتجار إلى منطقة بحيرة تشاد بسهولة لعدم وجود موانع طبيعية تعرقل حركة نشر الإسلام بها .

كذلك من أسباب انتشار الإسلام في بلاد الكانم تشابه هذه البيئة مع البيئات التي جاء منها الإسلام سواء في بلاد المغرب أو مصدره الأول في شبه الجزيـــرة العربية مما سهل من مهمة إقامة الدعاة في بلاد الكانم والبرنو .

ويبدو هذا التشابه واضحاً في وصف الأدريسى للزغاوة بأنهم "قوم ضواغن رحاله والإبل عندهم كثيرة اللقاح حسنة الإنتاج ، وهم ينـــسجون المـــسوح مـــن أوبارها والبيوت التي يعمرونها ويأوون إليها ، ويتصرفون في ألبانهـــا وأســـمانها ويتعيشون من لحومها "[2]وهي نفس طرق المعيشة للسكان البـــدو فـــي الجزيـــرة العربية أو شمال أفريقيا، كذلك لعب الطقس دوراً في هذا المجال فمناخ المنـــاطق المتاخمة للصحراء من الجنوب ومن بينها منطقة بحيرة تشاد لا يختلف كثيراً عن مناخ الصحراء . لذلك اعتاد عليه أولئك الذين تولوا مهمة نشر الإسلام من الدعاة والتجار حيث عاشوا نفس الطقس في مناطقهم الأصلية ، كـــذلك مـــن العوامـــل المتعلقة بالبيئة المحلية أن واقع الحياة في بلاد الكـــانم كانـــت تـــسوده الفوضـــى السياسية والدينية حتى أن الدمشقى يصفهم بقوله " وهؤلاء أكثرهم متوحـــشون لا يدينون بدين ولا يكادون يفقهون قولاً وهم بالحيوان أشبه منهم بالناس "[3].

لذلك نجد أن هذه البيئة مهيأة لتقبل الإسلام خاصة بعد مالمسه أهلها من مظـــاهر تغير على حياة معتنقيه ، وأثره في توحيد المشاعر والقضاء على التشتت الـــدينى والسياسي الذي عانت منه المنطقة قبل وصول الإسلام ، فالوثنيون كانوا ينظرون

---

[1] –أنظر الخريطة فى الملحق رقم / 13

[2] –الأدريسى – المصدر السابق – ص 111 .

[3] –الدمشقى – المصدر السابق – ص 241 .

للإسلام على أنه دليل على الترقى إلى حضارة ومنزلة اجتماعية أسمى مما هم فيه[1].

لقد تداخلت العوامل التي ذكرناها، وأسهم كل عامل في نشر الإسلام في المنطقة بصورة تدريجية، وربما كان الرابط الوحيد الذي جمع بين هذه العوامل هو اعتمادها على الدعوة السلمية والاقتناع بصلاحية هذا الدين لتنظيم شئون الحياة، ونجحت هذه العوامل في نشر الإسلام في منطقة بحيرة تشاد بين الأفراد، ثم اتجهت الدعوة اتجاهاً إيجابياً تمثل في إقناع الأسرة الحاكمة بدخول الإسلام، وهو موضوع الفقرة الموالية.

و- إسلام الأسرة الحاكمة ودورها في نشر الإسلام

لقد تحدثنا فيما سبق عن وصول الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو، وكيف انتشر بين السكان المحليين بعدة وسائل وبجهود مجموعة من الدعاة والملاحظ أن جهود الدعاة والتجار تركزت في تلك الفترة على الأفراد العاديين، ولم يتم إتصال بالأسرة الحاكمة، ويمكن أن نستنتج من طول المدة الفاصلة بين بداية الدعوة في القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى وبين وصول الإسلام إلى افراد الاسرة الحاكمة في القرن الخامس الهجرى /الحادى عشر الميلادى أن الإسلام قد انتشر أولاً بين السكان بحيث لم يصبح غريباً في البلاد ، كما أننا لا نتفق مع الرأي القائل بأن النظام السياسي في الكانم كان يحول دون توسع انتشار الإسلام[2]، بل نعتقد أن حكام الكانم قبل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى قد تركوا مسألة اعتناق هذا الدين مسألة فردية ، وذلك حرصاً على ضمان ولاء رعيتهم ، خاصة وأن الإسلام لم يقض على نظمهم المحلية ولم يمنع احترام الرعية لحكام البلاد ،وكذلك هناك سبب آخر وراء هذا التصرف من قبل الحكام ،

---

[1] -توماس أرنولد – الدعوة إلى الاسلام –ترجمة : حسن إبراهيم –عبدالمجيد عابدين –القاهرة مكتبة النهضة المصرية –1971–ص336

[2] –صباح إبراهيم الشيخلى – المرجع السابق – ص 127 .

وهو أن أغلب الدعاة والتجار كانوا ينتمون إلى مناطق الشمال[1]، لذلك لم يكن من مصلحة هؤلاء الحكام معاداة القبائل الشمالية حرصا على العلاقات التجارية التي تربطهم بالشمال الأفريقي الذي يسوده الإسلام عقيدة ونظاماً .

لقد ذكر بعض الباحثين أن بداية اعتناق الأسرة الحاكمة للإسلام كان في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[2] وتحديداً في عهد الماى أومي جلمى[3] 478 – 491 هـ / 1085 – 1097 م ، ويستند هذه الرأي على المحرم الصادر من اوم جلمى الذي يمنح امتيازات للفقية محمد بن ماني حيث يذكر المحرم أن اول بلد دخله الإسلام في السودان هو برنو ويشير المحرم إلى أن الفضل يرجع إلى الداعية محمد بن مانى الذي عاصر خمسة من مايات الكانم وهم الماى بولو وكان يحكم حوالي 411 هـ / 1020 م ، ثم الماى أركى وكان يحكم خلال سنة427 هـ/1035م ثم الماى كاداى الذي كان يحكم خلال سنة 468 هـ / 1075 م ثم الماى عبدالجليل " جلمى " وأخيراً عاصر هذا الداعية فترة 14 سنة من حكم الماى أومي جلمى صاحب المحرم ، كما يذكر المحرم أن محمد بن مانى قد اقنع هؤلاء المايات بالإسلام وعلم كل واحد منهم عدد من السور القرآنية[4].

أن أول مايمكن استفادته من المعلومات الواردة في هذا المحرم هو وجود الإسلام في البلاد منذ فترة مبكرة ، حيث أشار إلى أن أول بلد دخله الإسلام في السودان هو برنو، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من تغلغل الإسلام في صفوف السكان عن طريق الهجرات والدعاة والتجار قبل أن يصل إلى الأسرة الحاكمة بزمن طويل ، كذلك فإن هذا المحرم يجعلنا نشك في المعلومات الواردة في بعض المراجع[5]

---

[1] –الوزان – المصدر السابق – ج1–ص 62 .

- [2]Samuel Decalo – Historical Dictionary of Chad –p9

[3] – أومي جلمي : حكم فيما بين 1085 – 1097 م ويعتقد بعض الباحثين أنه أول من دخل الإسلام من مايات كانم ، وقد أصدر محرم للفقيه محمد بن مانى " أنظر – فضل كلود – مرجع سابق – ص 116 .

– [4]Palmer - the Bornu - Sahara .p14

[5] - طرخان – المرجع السابق – ص 69 .

والتي ترى أن أول ماى مسلم في الكانم هو أومى جلمي ، فالواضح من المحرم أن الداعية محمد بن مانى قد نجح في إقناع الماى بولو وبقية المايات الذين عاصرهم قبل أن يصل إلى عهد أومي بدليل ما ورد في المحرم من أنه علم كل واحد منهم عدد من السور القرآنية مما يؤكد اعتناقهم للإسلام ، لذلك يعد الماى بولو هو أول حاكم يعتنق الإسلام من حكام الكانم والبرنو وليس أومى ، وربما كان سبب هذا اللبس الذي وقع فيه بعض المؤرخين هو صدور المحرم في عهد أومي ، وكذلك لأن الماى أومي هو أول ماي معروف قام بدور كبير في نشر الإسلام[1].

إن وصول الاسلام إلى الاسرة الحاكمة في بلاد الكانم والبرنو في فترة مبكرة خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يؤكد حقيقة مهمة وهي ان جهود الدعاة لم تقتصر على عامة الناس بل ركزت في الوقت نفسه على الطبقة الحاكمة بدليل نجاح الداعية محمد بن ماني في اقناع خمسة من حكام دولة الكانم والبرنو بالدخول في الاسلام.

لم تذكر لنا الروايات المحلية الظروف التي صاحبت اعتلاء أول حاكم مسلم للسلطة في كانم وهل تسلم هذا الحاكم الحكم من سلفه الوثني عن طريق الإرث أم القوة ؟ وهل كان مسلم قبل أن يتولى السلطة أم أسلم بعد ذلك ؟ فديوان الكانم والبرنو لم يذكر لنا تفاصيل عن هذا الموضوع ،ولكننا نرجح ان تزايد النفوذ الإسلامي في الكانم والبرنو نتيجة لجهود الدعاة والتجار ، وكذلك هجرات القبائل من الشمال بعد أن اعتنقت الدين الإسلامي [2] قد أثر في إضعاف السلطة الوثنية في البلاد بالإضافة إلى استقرار الإسلام في شمال أفريقيا ومأأدى إليه من تزايد فرصة وصول حاكم مسلم لحكم دولة الكانم والبرنو .

---

[1] – طرخان – المرجع السابق – ص 69 .

[2] - الوزان – المصدر السابق – ج1– ص 62 .

دور حكام الكانم والبرنو في نشر الإسلام /

لقد كان إسلام الأسرة الحاكمة في دولة الكانم خلال القرن الخامس الهجري " الحادي عشر الميلادي " حدثاً كبيراً أثر على أوضاع الإسلام في الدولة بشكل تدريجي فكان اعتناق الأسرة الحاكمة للإسلام ثم انتشار الإسلام على نطاق واسع بين أهل البلاد إيذاناً بانتشار الدعوة للإسلام خارج بلاد الكانم ، حيث تحول هؤلاء الحكام إلى دعاة لنشر الإسلام بين القبائل الوثنية .

لقد رأينا فيما سبق أن أومي جلمى لم يكن أول من أعتنق الإسلام في مايات الكانم، ولكن يبدو أن المايات الذين سبقوه لم يصلوا إلى درجة العمل على نشر الإسلام داخل وخارج البلاد ، أما الماى أومي فقد تحمل مسؤولية تطبيق الإسلام بشكل عملى وإعادة بناء الدولة على أسس إسلامية وهي بدون شك مهمة صعبة ، لإن الناس اعتادوا على ما وجدوا عليه أباءهم وأجدادهم، كذلك عمل أومي على نشر الإسلام في المناطق المجاورة ، ووضع بذلك نواة العمل الجهادي الذي قام به من جاء بعده من الحكام .

هكذا أصبحت دولة الكانم في عهد اومي راعية للإسلام في المنطقة ، وقد عمل هذا الماى على توسيع حدود دولته ، وقد ساعده في ذلك جيش قوى وصل عدده إلى مائة ألف[1]، كما قام هذا الماى بخطوة تعبر عن حرصه على أداء الشعائر الدينية حيث كان أول ماى يقوم بأداء فريضة الحج سنة " 491 هـ/ 1097 م " ، ثم وافته المنية في مصر أثناء عودته من الأماكن المقدسة[2] ،واصل خلفاء أومي سياسته في توسيع الدولة ونشر الإسلام ، وسنركز على أبرز المايات

---

[1] – ديوان الكانم والبرنو– ص 32

[2] –المصدر نفسه – ص 32 .

الذين قاموا بدور في نشر الإسلام حيث واصل دونمه بن أومي[1] " 492 – 546 هـ / 1098 – 1151 م " سياسة أبيه في القيام بحملات عسكرية للمحافظة على حدود الدولة ونشر الإسلام في صفوف الوثنيين خاصة في الجنوب ، كما قام هذا الماى بثلاث رحلات حج إلى الأراضي المقدسة[2] مما يعبر عن حرصه على أداء الشعائر الدينية ، وكذلك حرصه على الالتقاء بإخوانه المسلمين ، حيث كان الحج فرصة للتعارف وتبادل الأفكار .

أما في عهد بيرى بن دونمه " 546 – 572 هـ / 1151–1176 م" ، فقد وقعت حادثة دلت بشكل واضح على تمسك أفراد الأسرة بالإسلام ، فقد أقدم الماى بيرى على إعدام أحد اللصوص ، ولم تذكرلنا المصادر أسباب إقدام بيرى على هذه الخطوة ، ولكن المهم أن الأمر لم يمر بل أمرت أم الماى بيرى وتسمى فاطمة بوضع ابنها في السجن لأنه خالف تعاليم الشريعة الإسلامية التي تقضى بقطع يد السارق ، وبقى هذا الماى في السجن لمدة سنة

كذلك قام الماى عبدالجليل " سالما 591 – 617 هـ / 1194 – 1220م بدور كبير في نشر الإسلام وترسيخ قواعده في بلاد الكانم حيث زاد عدد المساجد في عهده ، كما قرأ هذا الماى حوالى 150 كتاباً على يد العالم عبدالله ديلى بن بدر ، وقد كافأ هذا الماى معلمه بأن عينه إماماً للمسجد الذي قام ببنائه ، كما أصدر محرماً منحه فيه وأسرته امتيازات مادية ومعنوية مثل الإعفاء من الضرائب[3] .

لقد كان عصر دونمه دباليمى " 618 – 658 هـ / 1221 – 1259 م " العصر الذهبي لانتشار الإسلام في المنطقة حيث أقدم هذا الماى على خطوة مهمة حطمت بقايا العبادات الوثنية في بلاد الكانم وذلك بتحطيمه أسطورة الوثن

---

[1]- دونمه بن أوم : أحد مايات الكانم والبرنو ، تولى الحكم خلال الفترة 492 – 546 هـ / 1098 – 1151 م " وقد أشتهر بتمسكه بالدين ، وقد زاد انتشار الإسلام فى عهده ، وبنى أول مسجد فى مدينة بالال الواقعة شرق الكانم ." أنظر – طرخان – المرجع السابق – ص 69 "

[2] –ديوان الكانم والبرنو – ص32

[3] - طرخان – المرجع السابق – ص 69 .

المعروف باسم " ميون " الذي كان محاطاً بالخرافات والأوهام حيث كـــان بعـــض السكان يعتقدون أن بقاء هذا الوثن مغلقاً هو السبب في انتصاراتهم [1]، وربما كان هذا سبباً في عدم تعرض سلاطين كانم قبل دونمه لهذا الوثن حتى لايثيروا مشاعر بعض السكان ولكن دونمه أقدم على هذا العمل الذي كان من نتائجه تنقية المجتمع وتطهيره من الخرافات والبدع الوثنية التي لم تزل آثارها عالقة بأذهان العامـــة ، كذلك هناك خطوة أخرى تدل على ارتباط هذا الماى بالعالم الإســـلامي وحرصـــه على التأسى بحكامه فقد كان دونمه أول ماي يطلق عليه لقب"أميـــر المـــؤمنين" ، وذلك تأسياً بالسلطان الحفصى "المستنصر " [2] ، وهو أول سلطان حفصى يطلـــق عليه هذا اللقب[3] .

أما الماى عثمان بن زينب " 678 – 700 هـــ / 1279 – 1300 م " فقد اقترن عصره بنشاط كبير في مجال الدعوة الإسلامية ، حتى قيل أن هـــذا المـــاى هو الشخص المقصود بالهادى العثماني الذي ذكرت الروايات المحلية أنه من دعاة الإسلام في بلاد الكانم [4]، ولكن هذا الرأي مشكوك فيه بحكـــم الفتـــرة الزمنيـــة

---

[1] –ابراهيم صالح – المرجع السابق – ص 81 .

[2] –المستنصر: هو عبدالله محمد بن زكريا ، تولى حكم الدولة الحفصية خلال الفتـــرة " 647 675 هـــ /1249 – 1276 م " وهو أول حاكم حفصى يعلن نفسه خليفة حيث تلقب بلقب أمير المـــؤمنين سنة 651 هـــ / 1253 م " ، وأشتهر عهده بازدهار العمارة ونشاط العلاقات الخارجية حيث وصلته البيعة بالخلافة من مكة المكرمة سنة 659 هـــ / 1260 م ، كما وصلته سفارة مـــن المـــاى دونمـــه دباليمى سنة 672 هـــ / 1273 م أنظر ابن خلدون – المصدر السابق–ج6–ص358 – انظر ايـــضاً حسين مؤنس – تاريخ المغرب وحضارته – بيروت – دار العصر الحديث – 1992 م جـــ2 – ص 225 .

[3] –فضل كلود – المرجع السابق – ص 104 .

[4] –عثمان بن زينب : أحد مايات الكانم والبرنو فى أواخر المرحلة الكانمية وقد أستمر فـــى الحكـــم حوالى 22 سنة وأقترن عهده بنشاط الدعوة الإسلامية ويبدو أن هذا الماى قد شجع الحركة العلميـــة حيث ذكر بالمر أن إثنين من علماء الفولانيين المسلمين قد اتوا من مالى ودخلوا فى طاعـــة المـــاى عثمان فشجعهما على نشر الدعوة الإسلامية فى بلاده أنظر : Palmer - The Bornu Sahara and Sudan p . 189

وإبراهيم طرخان – المرجع السابق – ص 71 .

الطويلة التي تفصل بين بداية انتشار الإسلام في الكانم وبين عهد الماى عثمـــان ، كما تذكر الروايات المحلية أن عثمان بن زينب هو خليفة المسلمين ، وأن ترتيبـــه في الخلافة يأتى بعد الخليفة عمر بن عبـــدالعزيز " 99 – 101 هـــ / 717 – 719م " ، ولا يمكننا الاطمئنان لهذه الرواية بحكم الفترة الزمنية التي تفصل بـــين عهد عمر بن عبدالعزيز الذي حكم خلال القرن الثاني الهجري " الثامن المـــيلادي "، وكذلك بسبب مايعرفه الجميع من استمرار الخلافة في بنى أمية ثم انتقالها إلـــى بنى العباس سنة 132 هـــ " 750 " ، ولكن هذه الرواية تدل على شـــعور حكـــام كانم بالانتماء للعالم الإسلامي وتأثرهم بالأحداث الجارية فيه باعتبارهم جزءا منه.

لقد سادت فترة من الفوضى السياسية خلال القرن الثامن الهجري القـــرن/ الرابع عشر الميلادي" بسبب الصراع بين حكام هذه الدولة وبـــين قبائـــل الـــصو والبولالا مما دفع الأسرة الحاكمة إلى مغادرة كانم والاتجاه غرباً حيـــث اســـتقروا غرب بحيرة تشاد لتبدأ مرحلة برنو ،ولم تكن هناك جهود تذكر في مجـــال نـــشر الإسلام [1].

أما خلال مرحلة البرنو فقد كان أبرز المايات الذين أســـهموا فـــي نـــشر الإسلام وإقامة علاقات وثيقة مع الدول الإسلامية المعاصرة له هو الماى أدريـــس الوما (978 – 1012 هـــ / 1570 – 1603 م) الذي يعد من أعظم السلاطين الذين قاموا بنشر الإسلام في منطقة السودان الأوسط [2] ولعل ماخلد أعمال هـــذا الماى وجود مؤرخ عاش في بلاطه هو أحمد بن فرتوا الذي سجل أعمالـــه فـــي مؤلفه " إدريس ألوما وغزواته " ووصفه فيه بأنه شديد التمسك بالكتاب والـــسنة ، شديد الكراهية لأهل البدع والمحدثات[3]، كما اعتنى بتدعيم حكم الـــشرع وأوكـــل للقضاء مهمة حراسة الشريعة وأكثر من بناء المساجد[4] كما اشتهر هـــذا المـــاى

---

[1]- العمرى – المصدر السابق – ج2– ص97

[2] – فضل كلود – المرجع السابق – ص 107

[3] –المرجع نفسه – ص 107 لمزيد من التفاصيل حول الفترة الأولى لحكم الماي ادريس ألوما أنظر :
Ahmed ibn Fartua -History Of The first twelve years of the reign of mai Idirs Alooma Of Bornu (1572-1583)-notes by H.R Plamer - .Lagos - 1926

[4] - المرجع نفسه – ص 107

بكثرة حملاته العسكرية على المناطق الوثنية في الجنوب حتى اشتهر بأنه سلطان لا يغلب ، بالإضافة إلى حرصه على توثيق علاقاته بالدول الإسلامية في شـــمال أفريقيا .

نخلص من هذا إلى أن لسلاطين كانم دوراً بارزاً في نشر الإسلام والحضارة فـــي منطقة السودان الأوسط ، ويعود الفضل لهؤلاء السلاطين في وضع الأسس المتينة لتطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد ، ونشر الإسلام في المناطق المجاورة لبحيرة تشاد ، وهذا يخالف ماذكره بعض الباحثين من أن الإسلام لم تكن له جذور عميقة قبل القرن السابع الهجري " الثالث عشر الميلادي " فـــي كـــانم[1] ، فالحقيقـــة أن الجذور الإسلامية قد وجدت منذ وصول الإسلام إلى الشمال الأفريقي حيث انتقلت الدعوة الإسلامية عن طريق التجار والدعاة والهجرات إلى منطقة بحيرة تشاد .

فهذه البلاد بلغها الإسلام وجاسوا خلالها[2] منذ فترة مبكرة ، ثم أصبح الإسلام هو الدين الرسمي للدولة خلال القرن الخامس الهجري " الحادي عـــشر المـــيلادي " بإسلام الأسرة الحاكمة ، ولم يأت القرن الثالث عشر حتى أصبحت دولـــة كـــانم إحدى الدول الإسلامية في منطقة الصحراء بل عمل حكامها كما رأينا على نـــشر الإسلام في المناطق الوثنية المتاخمة لهذه الدولة من ناحية الجنوب.

و / أثر الإسلام على مظاهر الحياة في دولة الكانم والبرنو

كان لانتشار الإسلام في دولة الكانم والبرنو أثـــار كبيـــرة علـــى مختلـــف المجالات على اعتبار أن الإسلام دين شامل لايقبل التجزئة ، ففي جانب العقيـــدة قضى الإسلام على التشتت الديني ووحد العبادة فبعد ان كانوا " يعبدون الكواكـــب ويقربون لها القرابين" [3] أصبحوا مسلمين يعبدون الله وحده،(واعتبروا أن تطبيق الشريعة جزء من عقيدتهم الاسلامية)[4] ، وقد رأينا كيف دمر الماى دونمه أخـــر وثن كان مرتبطاً بالفترة السابقة لدخول الإسلام للمنطقة .

---

[1] - ديرك لانجى – المرجع السابق – ص 261 .

[2] – الدمشقى – المصدر السابق – ص 241

[3] - الوزان – المصدر السابق – ج1– ص 67

- [4]J . N . D . Anderson –Islamic Law In Africa - London –1967-_P9

أما من الناحية السياسية فقد ساعد وجود الإسلام على خلق نظـــام سياســـي يرتبط فيه الحاكم والمحكوم برباط دينى بعد ان كانوا " قبائل لايلحق عـــددهم ولا يوقف على أخرهم "[1]حيث تمكنت الأسرة الحاكمة بعد اعتناقهـــا للإســـلام مـــن السيطرة على البلاد وتوطدت علاقاتها بالحكام والمسلمين في شـــمال أفريقيـــا[2] ، واصبح الإسلام هو الأساس في قوة دولة الكانم واتساعها.

كذلك أدى انتشار الإسلام في الكانم والبرنو إلى ازدهار الحياة الاقتصادية بـــسبب توطيد العلاقات مع شمال أفريقيا من جهة وبسبب شيوع الأخلاق الإسلامية عنـــد التجار كالوفاء بالعهد والصدق في المعاملة ، وقد أدى هذا الازدهار الاقتـــصادي إلى درجة كبيرة من الثراء خاصة في بلاط الملوك حيث يصف لنا الوزان الـــذي زار برنو في أوائل القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ثراء ملك برنو فقال : (وقد رأيت كل مايجهز به خيله من ركابات ومهامز وأعنة كلها من الذهب وكذلك القصاع والأواني معظمها من الذهب والسلاسل حتى سلاسل كلاب الملـــك كلها من الذهب الخالص) [3] .

أما تأثير الإسلام على الحياة الاجتماعية في الكانم والبرنو فقد كان واضحاً حيث قضى الإسلام على العادات الوثنية وعمل على تهذيب العـــادات القائمـــة ، وبالقضاء على هذه العادات أصبح أهل كانم بشهادة محمد بـــن بللـــو متمـــسكين بالقرآن وشريعة الإسلام [4]ويؤكد بللو حرص أهل كانم على حفظ القرآن وانتشار هذه الظاهرة في بلادهم بقوله : (وقد انتشر الإسلام فيها انتشاراً بين ســـلاطينهم ووزرائهم وعامتهم بل لا يوجد في هذه البلاد عامة إلا معتنون بقـــراءة القـــرآن

---

[1] - ابن حوقل – المصدر السابق – ص 97

[2] – تعد الدولة الرستمية التى أقامها الأباضيون فى منطقة تاهرت بالمغرب الأوسط أول دولة تقـــيم علاقات سياسية إقتصادية مع دولة الكانم والبرنو فهذه الدولة كانت محاصرة بأعدائها الأغالبة الذين يتبعون العباسيين من الشرق والأدارسة من الغرب لذلك لم يكن أمامها إلا توطيد علاقاتها مع الجنوب :أنظر – ادريس الحرير – المرجع السابق – ص 77

[3] – الوزان – المصدر السابق – ج2– ص 177

[4] – محمد بللو – المصدر السابق – ص 34

وتجويده وحفظه وكتابته) [1] ، فارتباط الإسلام بالعلم قد أدى إلى انتشار المساجد والكتاتيب التي تقوم بأداء رسالة علمية ، وزاد من إقبال أهل كانم على العلم ارتباطه بأداء الشعائر الدينية .

نخلص من هذا إلى التأكيد على دور الإسلام وتأثيره على مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مجتمع الكانم ، بمعنى أن انتشار الإسلام في المنطقة كان نقلة حضارية غيرت وجه الحياة في الكانم وحولتها من بلاد تتنازعها الخلافات الدينية والأهواء السياسية والفوضى الاقتصادية إلى دولة مستقرة موحدة لها نظامها السياسي ، وجيشها الموحد الذي يحافظ على حدودها بل ويجتاز هذه الحدود لينشر الإسلام في المناطق المجاورة ، وقد عبر الدمشقي عن هذه النقلة الحضارية التي صاحبت انتشار الإسلام في الكانم بقوله " (وهؤلاء أكثرهم متوحشون لا يدينون بدين ولا يكادون يفقهون قولا وهم بالحيوان أشبه منهم بالناس ، فهذه البلاد بلغها الإسلام وجاسوا خلالها)[2].

---

[1] – محمد بللو – المصدر السابق – ص 34 .

[2] – الدمشقي – المصدر السابق – ص 241